

İSLAMİ İLİMLER ARAŞTIRMA VAKFI

**MİLLETLERARASI
TARİHTE VE GÜNÜMÜZDE ŞİİLİK
SEMPOZYUMU**

(Tebliğler ve Müzakereler)

International Symposium on al-Shiism Throughout
History and Today

الندوة العلمية الدولية حول الشيعة

عبر التاريخ وفي يومنا

BU KİTAP



İSLAMİ İLİMLER ARAŞTIRMA VAKFI
TARAFINDAN HAZIRLANMIŞTIR

13 -15 Şubat 1993
13-15 February 1993
İSTANBUL

İLMÎ NEŞRİYAT 11
İSLÂMÎ İLİMLER ARAŞTIRMA VAKFI
TARTIŞMALI İLMÎ TOPLANTILAR DİZİSİ 17

Tebliğ ve Müzakerelerin Bilim ve Dil Bakımından Sorumluluğu
Konuşmacılara Aittir.



Kâmilpaşa Sok. No: 7/1 Fatih/İST.- 34260
Tel: 631 74 32 - 523 54 57 Fax: 523 15 85

1. Baskı - 1993, İstanbul

Baskı: Polat Ofset ve Ambalaj San. Ltd. Şti.
501 62 56 - 57 Fax: 501 46 45

تقييم حول أسس الايمان و أنواع العبادات عند الاسماعيلية (ملخص البحث)

الأستاذ الدكتور بكر طويال أوغلي
كلية الالهييات بجامعة مرمره

أ) أسس الايمان :

١) ان عقيدة الألوهية تعتمد في الاسلام بلا شك علي مبدأ التوحيد؛ فالمراد بالتوحيد هو كونه سبحانه و تعالي موجودا لا شريك له في ذاته و صفاته و أفعاله . و مهما كان قد أتفق جميع المذاهب الاسلامية في مبدأ التوحيد، غير أنهم قد سلكوا طرقا مختلفة في سبيل فهم معني التوحيد و تأويله . و قد أدي الخلاف هذا - كما هو معلوم - الي أقصي حدود نقطتي الافراط و التفريط قد عرفنا بمصطلحي التعطيل و التشبيه ان هؤلاء الذين أصروا في تنزيه الذات الالهية عن علامات الحدث، فقد امتنعوا عن نسبة مفهوم، أي اثبات صفة له؛ و بذلك قد وصلوا الي تصور خاص للألوهية مجرد عن الصفات . و يحتمل أنه قد ظهرت فرقة أخرى كرد فعل لهؤلاء استهدفت اثبات صفات للذات بكرم بالغ . و الجدير بالذكر أن هذه الفرقة الثانية فكما أضافوا الصفات الواردة في القرآن الكريم الي الله عز و جل بطواهر دلالاتها، بغض النظر عن البحث عن معانيها المجازية؛ فكذلك نراهم قد تبنا كثيرا من الأحاديث التي تبين الصفات الالهية بصرف النظر عن صحتها . مع أن كثيرا من تلك الأحاديث لم تصل الي حد التواتر الذي لا شك في ثبوتها . هذا و من المحتمل جدا أن البعض منها قد يصف الذات الالهية علي الأقل بمعانيها المجازية .

ان الفرقة الأولى من هاتين الفرقتين اللتين لا تشكلان أكثر من الواحد في المائة عند جمهور المسلمين عبر التاريخ الاسلامي، و أعني مؤيدي التعطيل قد أوقعوا الله عز و جل، و هو الخالق للكون و مدبره موقع من ليس له الأ وجود ذهني . و أما الفرقة الثانية فقد قصرت المسافة بين الخالق و المخلوقات، اذ قامت بتوصيف كلا الموجودين بأوصاف متقاربة متشابهة، و وقعت بالتالي في نوع من التشبيه .

و قد وردت الاسماعيلية في مصادر تاريخ المذاهب، كاسم آخر للباطنية التي وقعت تحت تأثير فلسفة إخوان الصفا، أو أنها جناح مترادف للباطنية. وقد وقعت فكرة الألوهية لهذه الفرقة الباطنية في دائرة عقيدة التأويل التي سبق ذكرها فيما قبل. ومعنى ذلك فإن الله موجود، غير أنه يستحيل عليه أن يوصف بأية صفة من الصفات، وحتى صفات الكمال مثل العلم والقدرة. ويفهم من ذلك كله أن علماء الاسماعيليين النزاريين قد أعطوا للأئمة - أو بتعبير أصح لأمثال آغا خان - دوراً مهماً في مقابل الخلل الديني الذي يحتمل ظهوره بين المتدينين وراء عقيدة الألوهية التي ليس لها وجود سوي الذكر باسمها وليس لها اتصال بالوجود الفعلي. والجدير بالذكر أن أقرب هدفٍ وأشبه طرقٍ للمتدينين في مبادئ الإيمان وأنواع العبادات ومكارم الأخلاق عند الفكر النزاري هو الامام نفسه؛ أعني بذلك أن المتمسك بالعقيدة الاسماعيلية بحاجة ماسة الي قيام الامام بتأويل المبادئ للإيمان والأنواع للعبادات والقواعد للأخلاق حتي يتمكن من التمسك بها. والأفلا يهتدي الي الطريق المستقيم حسب اعتقاده. ويعتبر مقام الألوهية هدفاً بعيداً لن يمكن التوصل اليه إلا بواسطة الامام.

ومن الواضح أن هذه النظرة لن تتطابق مفهوم الدين بمعناه العام. وأما الاسلام الذي هو خاتم الأديان الالهية والذي قدم لنا أشمل وأكمل مفهوم الهي في أوسع نطاق؛ فلا يمكن أن تقبل فيه فكرة الوساطة بين الصانع والمحدثات. وكذلك فإنه ليس هناك وجوداً ذا ميزة تفوق صفات البشر غير الله. وإضافة الي ذلك فلا يصح أن يتحدث عن بُعد معنوي بين الله تعالى وبين العبد المؤمن به حسب مفهوم الألوهية في الاسلام (انظر: البقرة ١٨٦/٢) إذ ان الله تعالى أقرب الي العبد من حبل الوريد الذي هو نقطة البترة في وجوده الحسي (ق ١٦/٥٠). ويتحقق ذلك القرب بين الله وبين العبد عن طريق علمه بأسماء الله الحسني وصفاته العليا وقبوله إياها كما هي. فلذلك قد تكرر الأسماء الالهية كثيراً في القرآن الكريم، فوضع الإسم (أي الصفة بتعبير كلامي) بدل الذات الالهية التي تفوق الإدراك البشري، ثم أمر بذكر ذلك الإسم وتسيحجه (انظر مثلاً: الواقعة ٥٦/٧٤ / ٩٦؛ الأعلي ١/٨٧، ١٥).

وأخيراً يمكننا أن نقول: أن الاسلام لم يعترف علي الاطلاق بواسطة بين الربّ وعبده حفاظاً علي عقيدة التوحيد إلا أنه قد نجح في إدامة العلاقة بينهما عن طريق الأسماء والصفات، وجعل أنواع العبادات تؤيد هذه العلاقة في دائرة تلك الأسماء والصفات. غير أن الاسماعيليين النزاريين جعلوا أسماء الله وصفاته مكتومة في ذاته فأخرجوها عن شروط إيمان الاسماعيلي، ثم حاولوا تسديد الفراغ الوارد عن طريق فيض وتجليات الامام أو آغا خان. أن محاولاتهم هذه قد أدت بهم الي خلاف مبدأ التوحيد. وهم كذلك لم يستطيعوا تأسيس علاقة قائمة بين الخالق والمخلوق في معناها الديني والصفوي العميق.

٢) ان مسألة النبوة لها مكانة مهمة من بين مبادئ الايمان في الدين الاسلامي؛ و معنى ذلك أنه لا بد من كونها مهمة في سائر الأديان الالهية أيضا. و ذلك، لأن الرسول هو الذي يوجه الانسان الي العالم العلوي، فهو الذي يأتي الي البشرية بعناصر يرتبط بها قلب الانسان بالخالق الأكبر، ثم يبلغ الخطاب الالهي الذي يعتبر واضعاً للتكليف و شاملاً في طياته الأوامر و النواهي. و كل ذلك يعني أن ظاهرة الدين و الحياة الدينية قد بدأت بالرسول. و الجدير بالذكر أن الاسماعيليين النزاريين قد اعترفوا بالنبوة كأساس من أسس الايمان، إلا أنهم قد ذهبوا الي أن الوحي الذي ينزل الي الرسول يعتبر مادة مبهمه تحتاج الي تأويلها من قبل إمام العصر كما سيرى عند كلامنا عن العبادات أن وحي الاسلام قد تأوّل من قبل الأئمة بشكل لم يبق هناك لا الصلاة و لا الصوم و لا الحج علي صفاتها المعلومة، و كان ذلك علي خلاف رأي تسعة و تسعين في المائة من الجمهور. و قد أثبتت بحوثنا العلمية حول طائفة مسمّاة بخوذة من الاسماعيليين النزاريين أنهم لا يعرفون شيئاً حول حقائق تتعلّق بالنبوة. و نضيف الي ذلك أن الأئمة المعروفين باسم آغا خان قد ادّعوا بأنهم يستطيعون أن يأتوا بالمعجزة إن هم أرادوا بذلك. و كل ذلك يدلّ علي أن النبوة ليس لها أهمية عند الفرق الاسماعيلية و لا تقبل عندهم بمفهومها الديني المعروف لدي المسلمين، و حكم ذلك الرأي في الاسلام معلوم عند الجميع.

و أمّا موقف هؤلاء الاسماعيليين تجاه الكتب الالهية التي تعتبر ثمرات الوحي فلا يختلف عن موقفهم نحو أصحاب الوحي، أي الرسل. و يعني ذلك أنهم يقبلون كمبدأ بالوحي الذي أوحى الي محمد صلي الله عليه و سلم و الي الأنبياء الذين أتوا من قبله. غير أننا لا نستطيع أن نري علامات هذا القبول عند معتنقي الاسماعيلية. و رغم أن شهاب الدين شاه المؤلف الاسماعيلي النزاري قد قال بعدم فصل مثلث، أي الرسول - و القرآن - و أهل البيت، بعضه عن بعض؛ و مع ذلك فإنه كان يدّعي بالتحريف الواقع في القرآن الكريم. و قد وقع ذلك التحريف في نظره بإخراج بعض الآيات عن القرآن، فهي آيات كانت تشمل حقوق الامامة و نحوها لأهل البيت. و من الغريب أن يري الاسلام دين السلطنة، فإنه دين عالمي يخاطب الناس جميعاً الي يوم القيام بغض النظر عن قوميتهم و بلدهم.

و انه ليسرنا حينما نجد أن النزاريين يوجهون عبارات تحمل في طياتها الاحترام و القبول نحو القرآن و الحديث فيذكرون بعض الآيات من القرآن في مؤلفاتهم المطبوعة، غير أننا نتحير حينما نجد علماءهم لا يستفيدون بهداية هذين الوحيين، و بالتالي لم يؤلّفوا تفسيراً للقرآن و لا شرحاً لمجموعة الأحاديث. و انه ليؤسفنا كل الأسف أن الطائفة المسمّاة بخوذة يلجأون في بعض الأحيان أو مناسبات الوفاة الي قراءة نصوص هندية بدلاً من النصوص القرآنية. و كل ذلك يؤدي بنا الي القول بأن القرآن الكريم لم يأخذ مكانته اللائقة في الحياة الدينية عند النزاريين و أن دوره في ديانة الاسماعيلية لم يكن إلا دور الآكسسوار فقط.

٣) يروي أن الإيمان بالآخرة الذي يعتبر من أهم مبادئ أسس الإيمان في الاسلام موجود عند الاسماعيلية. و الجدير بالذكر أن هذه الحياة الثانية التي تبنتها جميع الأديان الالهية قد أدخلت بني آدم من ناحية، و وضعت مسائل الوعد و الوعيد تحت البحث فذكرت بجانب المسئولية من ناحية أخرى. و الذي نتساءل هنا هو: ما هي الجهة التي يعتبر المؤمن الاسماعيلي نفسه مسئولاً في حياته الدينية - الأخلاقية، و من هو صاحب هذه الشريعة التي ينتمي اليها، و عمن يرجو منه فلاحه الأخرى؟ و يفهم من كل ذلك أن أهم شخص في هذا الموضوع هو الامام - أو بتعبير آخر آغا خان - نفسه. ان اعتبار الانسان نفسه عاصياً و مذنباً أمام آغا خان، و خوفه من محاسبته الأخرى له هل يلعب دوراً فعلاً في الضمير المتدين؛ فعلياً اذن أن تفكر بجدية بالغة مدي تأثير هذا الجزاء الأخرى المرتبط بتلك المواصفات في تربية وجدانية.

٤) لا بد من الإشارة الي حقوق الامام داخل الدستور الديني في أثناء كلامنا عن نظام الإيمان عند الاسماعيلية؛ فان الامام مع أنه يُقبل بشراً عندهم، إلا أنه يعتبر يد الله و وجهه و جنبه. و الجدير بالذكر أن تلك الصفات لم تكن مقبولة حتي في حق الأنبياء من قبل غالبية ساحقة للمسلمين. إلا أن تلك الصفات إن وجدت عند الأئمة لكان معذوراً أن يقال بأنه من الممكن عندهم وقوع تجليات إلهية للأئمة عن طريق الحلول، و ذلك علي حسب ما اعتقد به بعض المرتبطين بالاسماعيلية أعني طائفة خوفاً. و مما لا شك فيه فان هذا الاعتقاد يعتبر اعتقاداً باطلاً لا يتوافق مع دين التوحيد و نصوصه و روحه. فاذا كان شرط الدخول في الدين هو الامام و شرط الخروج منه هو الجهل بالامام - أو عدم قبوله - و هو بتعبير آخر لو قلنا: إن يشترط أن يمر جميع الاحساسات الروحية للمؤمن من مصفى آغا خان، و أن تكن السعادة الأخرى مرتبطة برضاه... لكان ذلك الدين ديناً بشرياً خالياً من الجانب الالهي؛ أو بتعبير آخر لكان فارغاً و بعيداً عن كثير من الميزات السماوية.

ب - أنواع العبادات :

و اذا كان الإيمان قد يشكل أساس مبني الدين و أرضه فالعبادة تعتبر بلا شك حيطانه الجانبية و سقفه. و لن يستطيع الدين أن يلعب دوراً موجياً في حياة الفرد و المجتمع إلا عن طريق التلاحم لعنصري الإيمان و العبادة. فاذا ان العبادة رمز للإيمان النابع من الداخل و عنصر أساسي للحياة الدينية.

و من المعلوم أن جميع الأفعال و الحركات المشروعة تقوم في نظر الاسلام مقام العبادات. فهناك عبادات خاصة قد تمثلت في الصلاة و الصوم و الحج و الزكاة باتفاق جميع المسلمين سوي فرق باطنية لا تصل عددها الي واحد في المائة، و قد نجد أسماء تلك العبادات في مصادر الاسماعيلية النزارية؛ غير أنها لا تتضمن اطلاقاً علي مفاهيمها المعلومة و أوصافها المعروفة.

و علي ما ثبت من خلال البحث في مصادر الاسماعيلية و عن طريق دراسة لفرق الاسماعيلية أن الصلاة عندهم عبارة عن الدعاء. و لها أشكال عديدة لأدائها منفردا و جماعة؛ غير أنه ليس لشيء منها علاقة وثيقة بالاسلام لا من حيث الوقت و لا من حيث الشكل. و أما السجدة فقد تؤدي حينما يذكر اسم الامام أثناء الدعاء. و كذلك ليست لهم صلاة الجمعة. و أما التوجه فقد يكون أولاً الي سيدنا علي ثم الي الامام آغا خان، فيستعان منه و يرجي منه عفو.

و أما الصوم فهو كتمان السر عند فرق الباطنية. و مهما كان الاسماعيليون النزاريون يقدسون شهر رمضان فهم مع ذلك لا يتبنون فيه الصوم بالفعل حيث لا يصومون بالمعني الشرعي و لا يوما واحدا. و لذلك لا يمكننا التحدث عن عبادة الصوم و آثارها الموجبة في بدن المؤمن الاسماعيلي و روحه.

و أما الحج الذي يتحقق عن طريق زيارة لأماكن مقدسة ظهر فيها الاسلام و نشأ فبدأ فيها نزول الوحي؛ فهو عبادة تزيل الفراغ الحاصل في دائرة الحياة المعنوية بسبب البعد الزمني و المكاني، و هو أيضا يكون سببا لتعارف و تلاحم الحجاج الذين تعتبرهم ممثلين لمسلمي العالم أجمع. غير أن الاسماعيليين قد رجحوا وضع أنفسهم خارج زمره هؤلاء المسلمين؛ فانهم بدلاً من أن يزوروا الكعبة قبله كل المسلمين فقد فضلوا زيارة بلدة يقيم فيها آغا خان. و من الضروري في نظرهم أن تكون الزيارة هذه لبلدة يقيم فيها آغا خان سواء كانت هذه البلدة مدينة من مدن ايران أو مدينة بومباي أو مارسيليا. و من الواضح أن هذا النوع من الزيارة لا يحمل في نفسها معني دينيا و رقة روحية.

و نجد الاسماعيليين يهتمون بالزكاة - التي لها مكائنها الاقتصادية - اهتماما يتصورونها أهم شكل من أشكال العبادة. فنسبة الزكاة عند جميع المذاهب الاسلامية - سوي زكاة الخمس عند الجعفرين - اثنان و نصف بالمائة؛ غير أنها عند الاسماعيليين تتراوح ما بين عشرة الي اثني عشر بالمائة و تُصرف مباشرة الي آغا خان. و الجدير بالذكر أن أهيمية الزكاة الاسماعيلية تنبعث من الأمر الذي يأمر بصرفها لا من الصارف؛ لأنه من المعلوم أن هناك اختلافات شديدة بين معتقي الاسماعيلية حول مقدار الزكاة و طرق تحصيلها. فالزكاة الاسماعيلية بحالتها الراهنة ليست بعبادة تؤدي عن رضا القلب بل هي شبيهة بضريبة يُحصل عليها عن طريق الضغط دون أن تُعرف مصاريفها.

ج - الخاتمة:

و من خلال البحث حول أسس الايمان و أنواع العبادات التي تبنتها فرق الاسماعيلية فلقد عرفنا أنه من المستحيل اعتبار هذا التيار الديني مرتبطا بالنصوص و بالاسلام الذي اعتنقته الأغلبية الساحقة للمسلمين منذ ظهور الاسلام حتي يومنا الحاضر. و أهم نقطة لا جدال فيها عند الأديان كلها و بخاصة الأديان الالهية منها هي القداسة و العلوية. فالاسلام قد وضح هذا المبدأ توضيحا بالغاً كعقيدة التوحيد. فالقدوس و المتعالي بناء علي هذه العقيدة هو الله وحده. و كل ما سواه فله مميزات

الحدث و الفناء؛ و ليس له أيّ فضل إلا بمقدار إيمانه بوجود الخالق و توحيده و علويّته. و كذلك فإن كل ما سوي الله قد يكسب لنفسه فضلا و أهيميّة بمقدار ما يحسن بفضالته أمام مقام الألوهية. و لكن الامام الذي هو بشر بمعناه المطلق يُعطي له عند الاسماعيلية دوراً مهماً في عقيدة الدين و مجالات العبادات؛ بل و انه يُعتبر أيضا مرجعا أساسيا و مقاما أولانياً. و يقبل كل واحد حتي الذي ينظر الي ظاهرة الدين من خلال البحوث الاجتماعية ترقى البشرية من اعتقاداتها الهمجية و المادية الي مفاهيم و أحاسيس و معتقدات معنوية كاملة. غير أن هذا الطريق قد انعكس عند الاسماعيليين النزاريين؛ لأنهم في تلقيهم الديني قد نزلوا من الكامل الي الهمجي و من الباقي الي الفاني و من اللامادي الي المادي. و أما العبادات التي تعتبر ثمرات المعتقدات الدينية و أحاسيسها فهي لا تحمل في طياتها عند الاسماعيليين إيّ لون اسلاميّ يُذكر.

إنّ التيار الاسماعيلي الديني يتميز بخاصية أن لا تقدم للفرد لا العلوّ الروحي و لا السعادة الأبدية. و يبدو التيار المذكور كمنظمة اقتصادية لها كثير من مميزات الحسية و ليس ديناً في إطار المقاييس العامة، و الشرط الأساسي في ذلك أن تقتصر هذه الفوائد المالية علي الأئمة و من حولهم من رواد الاسماعيلية.

* * *